البنت والحداءة والكتاكيت

بقلم

محمد وفيق حسن

الوقت شتاء ، والشمس تشرق ـ بعد طول غياب ـ فجرت البنت وصعدت الى السطح ، وفتحت العشة ثم نزلت من السطح ، وجرت الى داخل الشقة، اخذت الكتاكيت ، وصعدت الى السطح ثم وضعت الكتاكيت . نزلت مرة اخرى ، أحضرت خراط البرسيم والبرغل ودورق ماء وصعدت مرة اخرى وفرشت الحصير وفتحت القفص ، خرجت الكتاكيت ووضعت الأكل ، جلست بجانبهم على الحصير ، الكتاكيت تصو صو ، تلعب ، تشدو ، تأكل ، تشرب والبنت فرحة تضحك ، والكتاكيت تلعب على رجليها وتدغدغها بمخالبها الصغيرة . البنت فرحة تلعب معها ، فهى مازالت طفلة صغيرة فى عمر كتاكيتها . هى تحب الكتاكيت والكتاكيت تحبها ، فهى بنت ذكية ، حلوة ، نميسة ، تقاطيعها مصرية ، خمرية اللون ، تضحك وتبتسم فتظهر نفزتان على وجنتيها . البنت فرحة.. تجرى ، تهش الصغار والصغار تلعب ، تفرد ، تصوصو ..

الشمس دافئة ، الجو صحو والبنت فرحة ، والكتاكيت ترنم ، والبنت تبتسم والكتاكيت تأكل وتأتى العصافير وتحط بجانبها ، والعصافير تأكل والبنت تنظر ... ثم تجرى ، تفتح العشة ، تأخذ شيئا ، تأخذ عصا وتهش العصافير والعصافير تصوصو ، ويحن قلبها وتترك العصافير تأكل فهى صغيرة وهم صغار مثلها . وتحط عصافير وتطير عصافير والكتاكيت تصوصو وقد تجمعت رؤوسها فى خط واحد وانتقت مناقيرها الى اسفل ، والكتاكيت تأكل ، تشرب ، والبنت تهز رأسها طربا وقد اهتزت معها ضفيرتاها اللتان تنتهيان بشريط

اخضر ، البنت كلها احساسيس ، كلها فرحة ، سعادة وهنـاء ، فالشمس لم تظهر منذ عدة ايام ، وها هى قد ظهرت ... هى بحاجة الى الشمس والدفء والكتاكيت صغيرة لم ينبت لها ريش بعد ، الكتاكيت دافئة ولكن اجنحتهـا بلا ريش وارجلهـا مازالت لدنة ... انهـا كتلة صـفراء والبرغل اصـفر والبرسـيم اخضر والشمس لذيذة ، اشعتها عمـودية ـ فنحن مازلنـا فى الظهيرة ، ـ اشعتها كثيرة تفرش جميع السطح والبنت كالزهرة ، ناصـحة ، ذكية ، تجرى هنـا وهنـاك وتـوالى الصغار ، ثم تنظر لهـا فى غبطة وتقول لنفسها : ـ

متى اراكم دجـاج ؟ ... ديـوك وفراخ ، كلوا .. صوصوا واكبروا .. بسرعة ، البنت سعيدة .. سعيدة جدا انها تضحك دون ان تدرى ، والكتاكيت تتبـاعد ، تشرب تاكل ، واشـعة الشمس تسرى فى اجسامها الصغيرة ، والعصافير مازالت تحط وتغدو ..

وفجأة يمر على المكان طيف خيـال مثل سـحابة معتمة سريعة فتجـرى الكتاكيت وتصوصو وتطير العصـافير مرتعدة مصطكة الى الاعالى .. والبنت جزعة فزعة والكتاكيت تنكمش وتصفر وتنظر البنت الى الجو فتجد حداة .. نعم حداة جاءت كاسرة تحوم حول البنت وصغارها ، ولكن العصافير قد طارت ... آه ويحكم ، ويحكم ياعصـافير ، لقد طرتم !.. ولكن الكتاكيت مازالت ارجلها طرية ، ولم ينبت ريشها بعد !؟

وجالت الحـداة وصـالت والبنت ترقب الحداة ، والحداة ماكرة عيناهـا حادتان ولونها اسود والعصافير صغار ، لونها اصفر والبرغل اصفر ، والبرسيم اخضر ، والبنت تربط شعرها بشريط اخضر ... ولكن الحداة سوداء .

وتحوم الحـداة فى دوائر متتـالية والبنت خائفة ، فالعصـافير صـغار ، ارجلهـا لدنة .. والبنت فـزعة ، الابتسامة تتبدد ، تموت من على شفتيها والحداة الماكرة مازالت تحلق .. الكتاكيت منزعجة ، تتكتل ، تتقارب ، تلتصـق ومناقيرها ما زالت الى اسفل والحصير مفـروش والبرسـيم عليـه والبرغل ودورق الماء وعلبا صغيرة وضع فيها ماء أيضا ، ولكن الكتاكيت لا تاكل ، لاتلعب لا تشرب ... والبنت تقف حـذرة والحداة تحوم كما هى ، بصرها حاد ، حاد جـدا ، تريد ان تنتهز فرصـة وتسلب من الصغيرة صغارها . البنت حذرة وتفهم الخديعة ، فتقف على اهبة الاستعداد ، العصا بيـديها والتصميم فى عينيها .

الحداة تبتعد ثم تحوم فى دائرة اكبر وتحلق فى الجو على ارتفـاع اكثر ثم تحوم فى دائرة اكبر وتحلق فى الجـو على ارتفاع اكثر ثم تختفى . وتفرح البنت بزوال الخطر ويتباعد الصـغار بعد طول انكمـاش وتشـد بأصواتهـا الموسيقية ترنيمات عذبة ، ولكن ... تظهر الحداة قريبة جـدا فى لمحة بصر وتحاول فى محاولة خاطفة سريعة جدا ان تنقض على الصغار وتخطف احداها. البنت فزعـة .. فتحـاول ان تضرب الحداة هنا وهناك ضربات عشوائية.. ولكن الضربات لا تصيب الحـداة . وتولى الحداة الادبار راجعة ثم تهبط فى

مكان بعيد على خشبة حبل غسيل فوق سطح منزل .

وتنظر الحداة من بعيد وتتأمل المغامرة كما لو كانت تقول ـ اأخاف منك انت ايتها الطفلة ؟ والله لاعاود الكر والفر من جديد حتى أبلغ غرضي.

وكان البنت تفهم ما تعنيه الحداة، فهى بنت ذكية ، نشيطة واعية،خمرية ... آه ... ولكن الابتسامة قد ضاعت من وجنتيها .

وتحاول الحداة من جديد ، وتحوم فىدوائر اخرى مترقبة البنتوالكتاكيت بنظرها الحاد ، وتلف وتدور وتصول منتظرة اللحظة السانحة لتنكب على الفريسة . وتعاود الكرة ولكن البنت واقفة ... البنت تتحدى الحداة . وتضرب البنت الحداة بالعصا والعصا لا تصيب الحداة وتجرى الحداة مرة أخرى وهى لا تستطيع الظفر بشيء وتقف من جديد على خشبة حبلغسيل فوق سطح منزل بعيد نسبيا . وتفهم البنت تحدى الحداة فتحضر عصا ؛ عصا غليظة ، غليظة جدا . يجب ان تتغلب على الحداة وان تقهرها ، انها تعرف ان الحداة طائر جارح ـ وهكذا قالت لها المدرسة فى المدرسة ـ ولكن .. ان يقف امامها شيء .

وتدور الحداة ومع دورانها يدور عقل البنت ، يثور عقل البنت ، البنت منفعلة ، البنت اصبحت الآن عتية.. وقد صممت انتهاجم الحداة انحاولت هى ذلك ، ان تضربها وان تطرحها جسدا بلا روح وبلا اعين حادة .

وتفكر الحداة وكأنها تخاطب نفسها فتقول : ـ

ـ اأخافك انت يا صبية ؟ لا ... ثم لا .. لاعاود الهجوم واكن اشد بطشا وأكثر شجاعة ولأخطف كتكوتا فى لمح بصر .. اقتنعت الحداة بالفكرة وفهمت البنت الحيلة ، فاستعدت مرة اخرى واقبلت الحداة مسرعة ترفرف بجناحيها كريح عاتية . وفى لحظة خاطفة حاولت أن تخطف الكتكوتولكن البنت كانت لها بالمرصاد .. وانقضت عليها البنت بكل قواها ماسكة بكلتا يديها العصا الغليظة وضربتها ضربات متلاحقة ، ولكن الضربات لم تصيبها. وفرت الحداة مرة اخرى دون انتصاب بأذى ودون أن تخطف الكتكوت ... وتتكرر محاولات تلوها محاولاتوالحداة تفشل فى ان تسلب البنت شيئا وضربات البنت لا تصيب الحداة .

والبنت ما زالت مصممة علىالقتال والنزال متأهبة مستعدة الى المعركة.. الى نهايتها . وصغار الكتاكيت قد أصبحوا كتلة صفراء كنسيج من قطيفة مناقيرها الى أسفل واعينها زائغة واصواتها متقطعة كصفارة انذار وقت غارة حربية .

وتعاود الحداة الكر ، والبنتتضربها بالعصا والعصا لا تصيبها . وتقف الحداة مرة اخرى على خشبة حبل غسيل فوق سطح منزل بعيد نسبيا. وتفكر الحداة هذه المرة مليا فى الأمر وقد اصبح فىعلم اليقين أنها لنتستطيع التغلب على البنت. والشمس مازالت ساطعة والجو دافىء صحو والوقت قد أصبح بعد الظهيرة ، والحداة وقد يأست فى محاولتها العنيفة للتغلب على البنت .. تجول بخاطرها افكار اخرى انها تريد النصر .. تريد الانتقام ..

فالمسألة اصبحت الآن مسألة كرامةوفى سبيل الكرامة يهون كل شيء .

الا تستطيع وهى الطائر الجارح الذائع الصيت أن تتغلب على طفلة صغيرة مثل هذه البنت ؟.. ويدفعها الضعف والحقد والفشل فى ان تغير رايها ويدور بخلدها فكرة أخرى ... لن تأخذ اى كتكوت ، ... لن تأخذ شيئا .. ان هدفها الآن البنت نفسها .. لتهجم عليها فى لمح بصر ولتحاول أن تصيبها بجرح ، بجرح فى وجنتيها، حتى لا تضحك الى الابد ، ويذهب جمال هاتين النفرتين. وتجول الحداة وتصول فى دوائر متباعدة متفاقمة مركزة على العمل نفسه فهى تحقد على البنت ولا بد ان تشفى غليلها .

تحوم الحداة ، وفجاة وفى لمح البصر تهاجم هذه المرة الفتاة نفسها والفتاة بيدها عصا والعصا غليظة والحداة لا تبالى فقد صممت ـ وهى حاقدة ـ على أن تنتقم . وتضربها البنت بالعصا والحداة لا تتراجع وتهجم على البنت وتنقر البنت بمنقارها فى مكان ما تحت عينيها وتنقرها ثانية وثالثة .. ورابعة

والدم ينزف ، الدم يسيل ، والبنت تصرخ وتصرخ والدم ينزف ، الدم احمر ، احمر نقى . البنت تصرخ : تبكى تترنح ، لا ترى ، لا تسمع ، والشمس تختفى والجو يبرد وينتهى الدفء ـ كله فى لحظة ... والسحاب ينتشر والبنت ما زالت تترنح. والحداة قد اختفت من المكان .

الكتاكيت فزعة والماء ينسكب من الدورق على الحصير والجو قد أصبح شتاء كما كان ، وصوت رعد فى السماء وصور برق ، والسماء تمطر وينزل هطلها على الحصير ويمتزج مع الماء الذى انسكب من الدورق على الحصير. والسماء ما زالت تهطل، والبنت مازالت تبكى ، تترنح تصرخ ... والكتاكيت فزعة والمطر يشتد والبرق يزداد والرعد يقصف والجو برده قد أصبح لا يحتمل والصغار مشتتون والحداة قد اختفت تماما من المكان .

وفى اثناء هذا التشتت والضجيج والرعد والبرق والمطر والدم والبكاء والعويل .. كانت هنالك حداة عجوز ـ نعم حداه اخرى عجوز ـ كانت تقف فى مكان ما فوق عمود تليفون .. تراقب العملية من اولها الى آخرها .. والآن وبعد أن تشتت جميع القوى .. الآن فقط سنحت لها الفرصة فاقتربت من المكان باطمئنان وتؤدة . اقتربت من السطح بكل هدوء وانتقت على مهل خير الكتاكيت واسمنها والتقطته بمنقارها وفرت به .. فرت بصيدها الثمين بعيدا ـ بعيدا ... وما زالت البنت تترنح والمطر يهطل وصوت رعد وصور برق واصوات الكتاكيت متقطعة كصوت صفارة انذار وقت حرب، وقت غارة جوية.. ، ولكن الشمس ستشرق ثانية .. ـ هذا ما قالته البنت فى سرها ..!